بريد الجمعة

ثراء المعارف الرقمية

بريد الجمعة

الجُمعَة ■ ١٥ فبراير ٢٠٠٢ ■

يكتبه: عبدالوهاب مطاوع

الحجر الثقيل !

أنا سيدة فى الثلاثينيات من عمرى متزوجة ولى ابنان احدهما فى الصف الثالث الإعدادى والثانى فى الصف الأول.. عشت كأسعد زوجة طوال عشر سنوات، كنت خلالها أحب زوجى ويحبنى، واحنو على أطفالى، ونخرج معا إلى الأماكن العامة والزيارات العائلية، ونسافر من حين لآخر لقضاء اجازة قصيرة فى أحد المصايف أو المشاتى.. ثم ذات يوم عرفنى زوجى على زميلة له موظفة بدبلوم التجارة ولديها طفل عمره عام وعلى زوجها وهما يعملان مع زوجى فى نفس المكان. وبدأنا نتزاور ونخرج معا فى بعض الأحيان فى رحلة إلى الإسماعيلية أو الإسكندرية.. فلاحظت بعد فترة من الزمن أنها تركز اهتمامها على زوجى كما لو كانت قد قررت الظفر به، ولفت نظره إلى ذلك، فأبدى استنكاره لذلك وانهمنى بالجنون.

وبعد ذلك اليوم تعاملت معها بفتور.. ورفضت أن أزورها أو تزورنى او أن نخرج معا فى نزهة.. وصارحت زوجى بعدم رغبتى فى اللقاء بها.. ولم يعلق على ذلك وتوقفت الزيارات والرحلات التى كانت تجمعنا من قبل إلى أن سمعت فجأة بعد فترة أنها قد طلقت من زوجها وطفلها لم يكمل بعد العامين من عمره.. وبعد أشهر أخرى فوجئت بمن تتصل بى تليفونيا وتبلغنى بأن زوجى قد تزوج هذه السيدة بعد انقضاء أشهر العدة مباشرة.

ولم أصدق ماسمعته.. لكن المتحدثة لم تحاول أن تخفى عنى أنها حصلت على رقم التليفون منها هى شخصيا لكى تبلغنى بالنبأ السعيد، فأغضب لكرامتى وأترك زوجى لتتفرد هى به.

ياربى زوجى الرجل المحترم يتزوج سيدة من وسط اجتماعى منهار ولها أخ شقى ومسجل خطر فى الشرطة ؟ ماذا جرى فى الدنيا ؟ أردت أن أتأكد من هذه الكارثة فطلبت زوجى على المحمول الخاص به.. وفوجئت بصوتها اللعين يرد على وتسألنى بيجاحة : ماذا تريدين ! وبغير وعى طلبت منها أن تبتعد عن زوجى فإذا بها تقول لى فى تحد إنه زوجها كما هو زوجى ووجدتنى اسألها فى غيظ : هل كنت تصادقيننى إذن لكى تسرقى منى زوجى.. فأجابتنى فى برود بأنها لم تصادقنى فى يوم من الأيام ، ولا تريد أن تربطها بى صلة، وأخذ منها زوجى التليفون وطلب منى إغلاق الخط الى أن يلتقى بى..

وجاءنى بعد قليل ليصارحنى بأنه قد تورط فى الزواج منها عرفيا.. وأن مافعل خطأ سوف يصححه فى أقرب وقت، لكنى لم اقتنع بما قال وطردته من شقتى التى اشتريتها بجرء من ميراثى عن أبى.

وأخذ زوجى ملابسه وغادر المسكن وبعد شهر عاد ليقول لى إنه لا يستطيع الحياة بعيدا عنى ويطلب منى التحمل الى ان يتخلص من الأخرى لأنه قد كتب لها مؤخر صداق قدره ٢٠ ألف جنيه وقائمة اثاث بنفس المبلغ.. وكل مايرجوه هو الاستمرار معه إلى أن ينجح فى سداد التزاماته..

وأكد لى أنه طلب منها ألا تحمل لكى يسهل عليه التخلص منها فى الوقت المناسب، لكنى عرفت بعد ذلك أنها تحايلت على الحمل منه وأنه أجهضها ٣ مرات فى الأسابيع الأولى، ثم تفننت بعد ذلك فى خداعه حتى استطاعت الحمل منه وأخفت حملها عنه إلى أن بلغت شهرها الرابع وتعذر عليه إجهاضها وهى الآن ياسيدى على وشك الولادة وقد اكتشفت أنه قد تزوجها زواجا رسميا ودون أن يصارحنى بذلك وكلما طلبت منه الطلاق هاج وماج واعتدى على بالضرب، كما أصبح أخوته ووالدته لا يستطيعون الوقوف امامه وكلما حدثوه فى أمرى هاج وثار عليهم، وهو الآن لا يقوم بواجبه نحوى أو نحو ابنى ولم أعد أرغب فى العيش معه بالرغم من أننى لم أحب ولن أحب أحدا سواه، فقد كان أول رجل فى حياتى وتزوجته وأنا طالبة فى السنة الأولى الجامعية.. لكنى أريد الآن الخلاص منه.. وقد عزمت على الانتحار مرتين للخلاص منه، ثم تراجعت فى كل مرة لخوفى من الله وخوفى على ابنى.. وليس لدى من يقف بجانبى ويحمينى منه ويجبره على الابتعاد عنى لان أبى قد رحل عن الحياة وأخوتى لا يستطيعون الوقوف أمامه؟

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

ليست المشكلة . كما تحاولين إيهام نفسك . هى انك بلا نصير فى الحياة بعد رحيل ابيك، وليس هناك من أهلك من يستطيع الوقوف فى وجه زوجك وإرغامه على أن يسرحك بإحسان، وإنما المشكلة الحقيقية هى فى «الخائن الصغير» الذى تنطوى عليه جوانحك ومازال ينبض بحبه بالرغم مما جناه عليك ومازال يردك عن التمسك بطلب الطلاق منه بجدية كافية لإقناعه بانه لا سبيل له ولا مفر إلا ان يطلق سراحك.

هذه هى المشكلة الحقيقية وليست فى أى شىء آخر.. ولو لم يكن الأمر كذلك لما تعذر عليك إخراجه من حياتك وإغلاق بابك دونه والإصرار على الطلاق منه.. ومنعه من أن يمسك بأذى إلى أن يستجيب لرغبتك. ولأنه يعرف فيك ضعفك العاطفى تجاهه.. ويعلم جيداً أنك لا تطلبين منه الطلاق رفضا له، وإنما كوسيلة يائسة من جانبك للضغط عليه لكى يتخلص من الأخرى، فهو لا يابه لما يصرح به لسانك.. ويفتعل الهياج والثورة عليك كلما اشرت إلى الانفصال، ويعتدى عليك بالضرب أمنا من كل عقاب او ردة فعل ملائمة، ولو كان قد استشعر جديتك فى الطلاق وإصرارك عليه لما فعل شيئا من ذلك لأنه يعلم جيداً أنك تستطيعين الحصول عليه عن طريق القضاء بلا عناء لزواجه عليك من أخرى دون موافقتك.

والكارثة هى أن الأمل الحسير الذى تتعلقين بان يؤدى ترديدك لنغمة الطلاق من حين لآخر إلى تحقيقه قد اصبح صعب المنال الآن.. فالأخرى على وشك الولادة.. والنزوة التى تورط فيها كما زعم لك فى البداية قد تحولت إلى زواج رسمى.. وإنجاب.. ورابطة لا يسهل فصمها بغير خسائر إنسانية.. ولقد قلت مرارا إن الهدف المكتوم لكل من يتورط فى مثل هذه المغامرة هو أن ينجح فى إقناع زوجته الأولى بقبول الأمر الواقع والتسليم به.. لكى يجمع بعد طول المجاهدة بين «الحسنيين»، فيستمتع بثمار مغامرته العاطفية.. ويحتفظ فى نفس الوقت باستقرار حياته العائلية الأولى وأمان أطفاله منها، وبذلك تصبح النزوة الجديدة «استزادة» خالصة من منع الحياة دون أية خسائر عائلية وإنسانية تؤرق ضميره بشأن الأبناء وتمزقهم بين أبويهم وافتقادهم الاستقرار العائلى إلخ.

وفى سبيل هذا الهدف «الجليل»، فلا باس بالخداع والوعود الكاذبة بالتخلص من النزوة الجديدة بعد حين إلى أن تهمد ثورة الزوجة الأولى ويخمد بركان غضبها وتتألف مع الواقع..

وهذا هو مافعله معك زوجك. انه لن يتخلص من الأخرى التى سرقت سعادتك بعد أن حملت جنينه فى احشائها... وحسابها عما فعلت بزوجها وطفلها ثم بك مع دورة الأيام التى تؤكد لنا أن من سرق يسرق ولو بعد حين، كما انك لا تقبلين بالأمر الواقع ولا تستسلمين له.. فماذا تنتظرين إذن لكى تحسمى امرك مع زوجك؟!

ان الخطوة الأولى هى أن تسيطرى على ضعفك العاطفى معه، ثم تخذارى بعد ذلك لنفسك مايعبر عن إرادتك الحقيقية.. وليست المصطنعة. أم ترى انك سوف تظلين على موقفك الحالى من زوجك وهو موقف صوره الأديب الروسى العظيم انطون تشيكوف على لسان الأرملة ليوبوف اندريفينا وهى تتحدث عمن أحبته وخانها وهجرها وتريد اللحاق بالرغم من ذلك لكى تعنى به فى مرضه فقالت:

. ماأشبهه بحجر ثقيل معلق فى رقبتى ارانى اهوى معه إلى الأعماق ومع ذلك فإنى أحب هذا الحجر ولا استطيع الحياة بدونه !